نظرية الفعل العقلاني رؤية أنثروبولوجية

م.د.مها اسعد حمزة

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

Maha.Asaad1101a@coart.uobaghdad.edu.iq

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٥/٣/٢٣

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٥/٤/١٠

الخلاصة :

نظرية الفعل العقلاني: هي نظرية رياضية تعتمد"الاختيار العقلاني"حرفياً ومنطقياً، ومن الممكن ان يتم حسابه بوعي، وان لهذه النظرية دور واسع في الشؤون البشرية وان مدخلها من هذه النقطة تحديداً يجعلنا نقربها ساحبينها الى مساحة تخصصنا الأنثروبولوجيا لإدخال توجهنا ومحاكاته، وعادة ما يكو ن هذا المدخل استعمال لصيغة من نظرية اللعب لتبيان ما هو "الاختيار العقلاني" بطريقة رياضية دقيقة، ومنها أنبثقت فكرة البنية من الطريقة الأكسومية التي تبحث عن الوحدة العميقة الكامنة خلف الكثير من الشعب الرياضية المتمايزة،وتصبح البنية في أساس ذلك أساساً تصنيفياً جديداً؛ تسمح الطريقة الأكسيومية في موقعها هنا في التعامل مع كائنات رياضية معقدة بفضل خصائصها وتجميعها حول عدد من المفهومات، ومن ثم تصنيف هذه الخصائص والمفهومات وفقاً للبنيات التي ينتمون إليها فيمكن لبنية واحدة ان توضع في مواضيع عديدة مختلفة(؛ تبين ابحاث قام بها جورج لايكو ف وروبرت باول)Powell Robert(في حديث شخصي متوصلين الى ان نظرية الاختيار العقلاني لها بنية استعارية، وان الفكر الاستعار ي يلعب دوار حاسما ف ي تطبيقها على اي سياق، والهدف من هذا التحليل هو توجيه النقد مرة أخر ى الى التصور الفلسفي الكلاسيكي للعقلانية، أما هدفنا الأوسع فهو تقويض الفكرة التي تقول ان نموذج الفعل العقلاني يصف بكل بساطة العالم كما هو، وأنه يتحكم بصورة طبيعي ة في كل التفكير العملي للفعل الاجتماعي، لذلك يمكننا القول في ان نموذج الفعل العقلاني هو مفروض على الأنسان، وهو محاولة لاستعمال نوع معين من الرياضيات، والمرتبطة برابط أستعاري والذي لا يعد عقلانياً دونه،

لذلك ان نظرية الفعل العقلاني لا يمكن ان تحدد الأوضاع التي يمكن ان تطبق فيها، إلا ان يكون تطبيقهاً مرتبطاًبحكم الأنسان نفسه ورؤيته داخل السياق الواقعي، ولكي يقوم المرء بإحكام من هذا القبيل، مستعملاً ما أمكنه أستعماله من معلومات فعلية أن يكو ن واعياً بالفكر الاستعاري، وكيف يستعمله في اي تطبيق من تطبيقات النظرية.

الكلمات المفتاحية : العقلانية, الاستعارة, البنيوية.

Theory of Rational Action: An Anthropological Perspective

Lec. DR. Maha Asaad Hamza

Lecturer at the College of Arts, Al-Mustansiriya University

Maha.Asaad1101a@coart.uobaghdad.edu.iq

Date received: 23/3/2025
Acceptance date: 10/4/2025

Abstract:

The theory of rational action is a mathematical theory that literally and logically relies on "rational choice," which can be calculated consciously. This theory plays a broad role in human affairs, and its entry point into this context makes it possible to link it to the field of anthropology, integrating our approach and mimicking it. Usually, this entry point uses a form of game theory to demonstrate "rational choice" in a precise mathematical way. From this, the concept of structure emerged from the axiomatic method, which seeks to identify the deep unity underlying many distinct mathematical branches. Thus, structure becomes a new classification basis. The axiomatic method, in its position here, allows for dealing with complex mathematical entities due to their properties and the grouping of these entities around specific concepts, categorizing these properties and concepts according to the structures they belong to. As a result, a single structure can be placed in multiple different contexts. Research by George Lako and Robert Powell has shown that rational choice theory has a metaphorical structure, and metaphorical thinking plays a crucial role in its application to any context. The aim of this analysis is to critique the classical philosophical conception of rationality. Our broader goal is to challenge the idea that the rational action model simply describes the world as it is and naturally governs all practical thinking in social action. Therefore, we can argue that the rational action model is imposed on humans, an attempt to apply a particular kind of mathematics, tied to a metaphorical link that is not rational without it. Hence, the theory of rational action cannot determine the situations in which it can be applied, unless its application is connected to the judgment of the human being himself and his view within the real context. To make such a judgment, one must use all available actual information and be aware of the metaphorical thinking and how it is used in any application of the theory.

Keywords: Rationality , Metaphor , Structuralism

منهجية الدارسة :

أولا:- أهمية الدراسة: جعل ما هو فلسفياً قابع في الذهن مُطبقاً واقعياً مرئي ولازم لعملية فك الرموز الرياضية والمعاني والدلالات التي تفرضها نظرية الفعل العقلاني ودمجها مع الثقافة المطبق في أرضها البحث الميداني وترجمتها واقعياً.

ثانياً:- هدف الد ارسة:

تسهيل عملية فك الرموز الرياضية

المتبعة في نظرية البحث ودمجها بالمنهج المتبع لأخراج النموذج المطيق ميدانياً .

ثالثاً:- منهج الدارسة: البنيوية.

رابعاً:- التساؤلات:

١- لماذا النظرة الفلسفية مهمة في نظرية الفعل العقلاني؟

٢- هل أن الأستعارة ضرورية في تطبيق نظرية الفعل العقلاني؟

٣- في نموذج الفعل العقلاني هل الأرباح تفوق الخسائر ؟

نظرية الفعل العقلاني:

على طوال تاريخ الفلسفة هيمنت فكرة تقول أن ثمة ماهية تجعل منا كائنات بشرية، وهذه الماهية هي العقل، ويعتبر العقل في هذا التقليد سيرورة واعية تعمل وفق مبادئ كُلية.

وأن هذه النقطة تحيلنا الى التميز التقليدي بين العقل النظري والعقل العملي، الأول هو تأملي يهدف الى وصف الظواهر وتفسيرها، وبذلك فهو يتصل بالمعتقدات المبررة، أما العقل العملي فيهدف إلى تلبية الرغبة من خلال الفعل، لذلك فهو يستعمل نتائج العقل النظري لتحديد الطريقة المثلى للفعل بحيث أنه يلبي الرغبة، لأنه مصدر للمبادئ التي تتحكم في إقامة الرابط بين الوسيلة والغاية.[١]

يرى ليفي- شتراوس أن ما يجعل الأنسان مُختلفاً هي اللغة فأن تقول أنسان يعني أن تقول لغة، وأن تقول لغة يعني أن تقول مجتمع، وهو ينحو بهذا نحو روسو، وفوكو، وهوبز وأرسطو وكثيرين غيرهم، فظهور اللغة التي تُرافق التحول من الطبيعة الى الثقافة، هي أيضاً تحول من العاطفة الى العقلنة،[٢] وان كل هذه العمليات لا تحدث إلا من خلال البنيوية والتي يمكن وصفها بأنها نظرية وضعية تربط ما هو مادي بما هو ثقافي بطريقة مختلفة، وتقول لنا البنيوية أن علم الأحياء البشري وتحديداً تركيب المخ يقود الثقافة والعمل من منطلق الطريقة اللغوية لـ فيردناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure) والربط هنا بهذه النقطة يكون بأعتقاد الأنثروبولوجي كلود ليفي- شتراوس(١٩٠٨ -٢٠٠٩) الذي يقول أن المُخ البشري مُركب بحسب قواعد التضاد، وأن اللغة بما

فيها من قواعد منضبطة، فأن أحد مظاهر ميلها البشري مبني على هذه الناحية البيولوجية في تنظيم الحياة، وقد قال بأن الثقافة تعكس كُل تراكيب التضاد في الحياة المُعاشة وفي جميع صيغ الثقافة،[٣] فأن طبيعتنا البشرية ثنوية (Dualist)على مستوى الأدراك تبعاً للبنية الكونية للعقل الأنساني، فأن العقل وليس الجسد هو ما يحضى بأهتمام المزيد من المؤيدين ويقع الكثير من هذا الجهد في مجال يسمى الأنثروبولوجيا الإدراكية، ولهذا المجال العديد من مناطق التأثير ومنها البنيوية وفروع مختلفة من علم النفس واللسانيات والفلسفة، وبشكل عام تتصارع مقاربات الأدراك في الثقافة بشأن فكرة جوهرية مفادها أن أشتغال العقل هو ما يصوغ أشكال التعبير الثقافي.[٤]

أن تظافر كل الشواهد المعرفية وتفاعلها ولد لما جاء به شتراوس، فضلاً عما تم إستلالهُ من الأناسة الثقافية ورائدها فرانز بواز (Franz Boas) الذي كان ينادي بضرورة البحث عن البنى اللاواعية للمجتمعات، ثم أدوارد سابير (Edward Sapir) الألسني الأناسي الذي أهتم بدراسة العلاقات القائمة بين الظاهرات الثقافية والألسنية، وأذا كانت الصلة قد أتضحت بين البنيوية واللغويات على المستو ى النظري، فإن تناول الجانب العملي سيؤكد ذلك أيضا، فقد أنطلق ليفي– شتراوس في دراسته الأنثروبولوجية مستوحياً مثال اللغويات للبحث عن البنى غير الظاهرة، والتي تختلف عن المجموع المباشر للعلاقات الاجتماعية،[٥] ومن الغير ظاهر و القابع في الذهن ينتج الناس الوقائع الاجتماعية وبالتالي الوقائع التواصلية، حيث أن أفعالهم تحدد أساليب الوجود والتفكير والفعل، كما وأن المجتمع الذي يعيشون فيه يفرض عليهم أمور يجب مُراعاتها في التفاعل.[٦]

أن نظرية الفعل العقلاني تحتاج إلى سياق تواصلي موصوف على أنه واقعة تواصلية تتحر ك بها وتترجم وجودها في الواقع المُعاش، وبموازة ذلك وبما يخص المستوى السلوكي فان أنماط السلوك غير الشفهي وفق غريغوري باتيسون يمكن أعتبارها أنماط تواصلية تماثلية لأن زخم الحركة وعمق الصوت وطول التوقف وتوتر العضلات تقابل حجم العلاقات التي هي موضوع الخطاب والتي تتخلل التفاعلات، فبالنسبة الى باتيسون فإنهُ ينوه على أن كيف اللغة تبقى غامضة في حين أن النظام اللساني الموازي والحركي للثقافة نفسها واضح ومفهوم، وسيكون التواصل التماثلي طريقة للتواصل حول العلاقات وأن التفاعل بين الأشخاص أو بين المجموعات كمقطع أو كمتتالية من ردود الأفعال تترتب عن ردود أفعال ردود أفعال أخرى، لذلك يعود باتيسون من خلال أبحاثه إلى مفاهيم (السياق، البنية، والدلالة..) وغالباً ما يعطي في هذا الشأن الأمثلة المُتعلقة بالحالة التجريبية للواقعة التواصلية، وعنده تقوي أجوبة الفرد بعض المواقف وتوجه بالتالي المسار الذي فرضته عليه التجربة الواقعية بسياقها وتفاعلاتها وأحداثها وهذا ما نطلق عليه بـ (تحيين الحالة) فالعمل الميداني للباحث الأنثروبولوجي يحتم ذلك بهذا الموضع.[٧]

يعد السياق التواصلي بالموضع الذي تم التحدث عنه بشكل اساسي في نظرية الفعل العقلاني وفي الدراسات الأنثروبولوجية، والذي أسس له من خلال الدراسات السابقة في التراث الأنثروبولوجي برونسيلاف مالينوفسكي، ومارسيل موس وليفي–شتراوس، أذ نلاحظ أن مالينوفسكي عرض مفهومهُ الضمني على السياق التواصلي للجماعة والذي سماه سياق الحال أو أثنوغرافيا الحقائق التبادلية للفرد والجماعة، وهي مكونة بصورة أساسية من اللغة والمكان والزمان، وأن الفرضية الذي يقوم عليها فهم السياق عنده هي أن التشكل الاجتماعي عبارة عن حاجات أساسية وأخرى ثانوية، وهي تعد الدافع الأساسي للتواصل الاجتماعي من خلال الجوانب المُختلفة للفرد والثقافة داخل الجماعة، أذ يحتم التواصل لسياق متغير العملية الأجتماعية، بالأضافة الى الحاجات العضوية والثقافية، هناك نوع ثالث من الحاجات حسب مالينوفسكي الذي يكون مُرتبط بالأمن النفسي والانسجام أو التوافق الاجتماعي والتي يمكن أشباعة عن طريق أنساق المعرفة، وأن كل ذلك يحقق كما ذكرنا التفاعل والعلاقات وبالتالي التواصل الذي يحقق تطبيق نظرية الفعل العقلاني ووقائعها.[٨] كل ما سبق يرتبط بشكل من الأشكال بالبنيوية التي تم ذكرها بمواقع مُختلفة من هذا البحث كونها نشاط ذهني يتميز به العقل البشري، حيث أن آليات المقاربة البنيوية في مختلف صورها ستكون حاضرة (القياس، التشكل، الدلالة،الأستعارة..) باعتبارها أنشطة ذهنية إدراكية تسعى إلى إيجاد مخرج للبحث يصدر من خلاله تجاذبات منها عرفاني وأخر صوري شكلي، لكن تركيزنا سينصب أكثر على الجانب الصوري الشكلي الظاهري من خلال أقتراح نموذج توصيفي مستعينين بالوسائل التي تمنحها الرياضيات من قبيل نظرية الفعل العقلاني ومفهوم البنية...

سنستدل في النموذج التطبيقي من هذا البحث إلى أن نموذج الفعل العقلاني هو مفروض على البشر في أحيان كثيرة، وهو محاولة لاستعمال نوع معين من الرياضيات، حيث يمكن تقسيم نظرية الفعل العقلاني الأستراتيجي والاختيار

الى ثلاث أجازء وهي بنية الرياضيات الصورية، أضافة إلى طبقتين من النسوخ التأويلية. أن البنية الرياضية الصورية، أي الجزء الأول من هذه الأستراتيجية هي رياضيات فحسب، إنها تقنياً عبارة عن صيغة من نظرية اللغة الصورية مضافة إليها إحدى نظريات الأحتمال، هذه البنية الرياضية في حد ذاتها، لا تستطيع أن تقول لنا شيئاً عن طبيعة العقلانية، أما طبقتا التأويل الأستعاري فهما اللتان تفهم عبرهما الرياضيات بأنها نظرية للفعل الأستراتيجي والاختيار العقلاني،[٩] وهي بذلك تفترض أن البشر مخلوقات عقلانية، أي أنهم يعتمدون على العقل والمنطق لأتخاذ القرارات، فعندما يواجه الناس عدة مسارات عمل عادة ما يفعلون الذي يعتقدون أنه من المرجح أن يؤدي إلى أفضل النتائج ..

تغدو نظرية الفعل العقلاني مهمة ومعقدة لأن فيها أكثر من فاعل، حيث أن الربح بالنسبة لأحد الفاعلين قد يكون خسارة بالنسبة للآخر، وقد تكون نتيجة ما أهم بالنسبة لفاعل معين من فاعل آخر، والفاعل يعرف أشياء أخرى بهذه النظرية، منها ان تكون العشوائية هنا مطلوبة، وقد لا ترتبط النتائج في الأختيار فحسب، لكن فاعل من الفاعلين تكون له أستراتيجيات "عقلية" حول الرد الأفضل على أفعال الآخرين، وكذلك تكون في نظرية الفعل العقلاني أحتمالية الرفع من أجور كل واحد الى الحد الأقصى،[١٠] لذلك فأن من يفضل القفز على التفاصيل يجب أن يمر على هذه النظرية..

الأستعارة في نظرية الفعل العقلاني:

أن الاستعارة لغةً و اصطلاحاً تعطى معنى مُتقارب لذلك اكتفيت بالذكر عل أنها: استعمال اللفظ في غير موضعه، وهي في الأصل عبارة عن تشبيه حُذف منه المشبه وأداة التشبيه ووجه الشبه، وبقى فقط المشبه، أَذن فالاستعارة هي المُبالغة في التشبيه وادعاء معنى الحقيقة في الشيء،[١١] لذلك يمكن أن نقول عن الاستعارة أن هناك شيء يستدعي شيء أخر من دون مباشرة في القصد، أي أن الشيء لا يدل على أسم الشيء بل يدل على شيء أخر بالاتفاق مع الجماعة المقصودة داخل الثقافة، وهي مدخل صريح يتم بالاستعانة به في اللسانيات ليتم من خلالها الدخول إلى البنيوية وتشترك معها الأنثروبولوجيا الرمزية بهذا الجانب..

حتى يتم الربط في هذا المحور بصورة صحيحة يتوجب علينا أن نجد نقطة للتلاقي بين الأستعارة ونظرية الفعل العقلاني ألا وهو "الربط البنيوي" أن ليفي شتراوس أعطى تفصيل في الجزئية التي تقول أن الأنسان لا يمكن ان يعي ذاته بوصفه عضوا في جماعات النحن إلا حين يتمكن من أستعمال الأستعارة كوسيلة للمقارنة وإدراك الفروق، فأن الولع للعودة الى البدايات التكوينية التي يُصدرها شتراوس للنقاش مختلطة مع بحثه عن كُليات أنسانية، أي أن الأصناف اللغوية توفر الآلية التي تحولت عبرها الخصائص البنيوية الكونية التي تتمتع بها الأدمغة البشرية الى خصائص بنيوية كونية للثقافات البشرية، فأذا ما كانت هذه الكليات موجودة فلا بد أن تكون فطرية في مستواها العميق.

وعلينا فى تلك الحالة أن نفترض أنها نماذج تم أستدخالها إلى النفس البشرية في سياق التطور البشري جنب إلى جنب مع التطور الوظيفي لتلك الأجزاء من الدماغ البشري المعنية مباشرة بتشكيل الكلام وإصداره عبر الحنجرة والفم وأستقباله عبر الأذن،[١٢] غالباً ما تستعمل الناس الأستعارات لوصف الثقافة وكيف تكون علاقتها بها، كما وتستعمل بعض الأستعارات من قبل علماء الأنثروبولوجيا في محاولة جادة ومهمة وذا أضافة معرفية؛ لتوضح فكرة أن الثقافة نافذة ولا شعورية إلى حد كبير، وجوهرية بالنسبة لطبيعتها البشرية.

فأن علماء الأنثروبولوجيا قد صوروا البشر في بعض الأحيان كالسمك يسبحون دائماً في ثقافتهم، أن هذه الاستعارة توضح الفكرة المهمة التي تقول أن الثقافة ليس شيئاً نضيفهُ نحن البشر

لحياتنا، فكما أن السمكة بحاجة الى ماء لكي تبقى على قيد الحياة، هكذا الأنسان في حاجة إلى الثقافة، وأن من نظم الأستعارة قد لا تكون مُتطابقة بشكل كامل وهذه هي الأهم حيث جزء من التشبيه يكون حاضراً ليعطي للمجاز حيثية وتفعيل للدور، فأن الجانب الغير متطابق مثلاً في هذه الاستعارة أنه على خلاف السمك الذي لا يستطيع أن يغير الماء، اما البشر فيمكنهم أن يغيروا ثقافتهم، وهكذا فأن مناقشات الثقافة يجب أن تتضمن وسيلة يستجيب لها الأفراد والجماعات، ويتكيفون معها ويستعملونها في أطار سياق ثقافي ينتج عنه تغيرات مُتعمدة وليس معتمدة في بعض الأحيان على الثقافة نفسها،[١٣] أن هذه الفقرة تحيلنا إلى كونها وسيلة لدراسة جزء من كل، كما في دراسة جماعة أجتماعية معينة ضمن الثقافة الأوسع كالثقافة الفرعية مثلاً(Sub Cultural) حيث أن فقرة تغيرات متعمدة اي للتثبيت من خلال أبراز السمات الثقافية في الدارسة لهذه الجماعة أو تلك...

تأكيداً لما سبق فأن الأستعارة أستحوذت على أهتمام الأنثروبولوجيين بشكل كبير، حيث أنهم عرفوها على أنها استعمال أو تطبيق لصفة أو خاصية لمجاز معنوي مُعين، حيث أنها حاملة لخاصية أو تصور ينتمي إلى مجال أخر مختلف أعتماداً على التشابه المُدرك بين هاتين الخاصيتين، اذ هي تعتمد على مبدأ التماثل أو التشابه بين صفتين أو خاصيتين تنتميان الى مجالين معنويين مُختلفين، أضافة الى ذلك فأن الأستعارة لا ترتبط فقط بأنماط التعبير اللغوي، بل أيضاً تتسم بأمكانية تطبيقها في المجالات السلوكية من خلال الأعتماد على مبدأي التشابه والاتصال.[١٤]

حاول بعض العلماء تتبع العلاقة بين ظهور أنماط معينة من التعبير اللغوي ومنها الأستعارة والدلالات والمعاني الرمزية المتضمنة فيها، وكان لنتيجة هذه المحاولات ظهور أتجاهين، الاتجاه الأول تزعمهُ ماكس مولر (Max Muller) وطبقاً لهذا الاتجاه فأن كُل التعبيرات الرمزية تكون نتاج عملية إضافة المعنى الى الحقائق التجريبة التي يختبرها الأنسان، وهذا يتضمن في المرحلة الأولى من التطور اللغوي عند البشر، والتي كانت فيها الأسماء ترتبط مباشرة بموضوعاتها المادية، ومعنى ذلك أن اللغة كان يُنظر إليها بصورة موضوعية، أي أن العلاقة بين التصور الموجود في العقل والواقع الموضوعي كانت علاقة واحدة مُتطابقة وواضحة، لكن في المراحل التالية من تطور اللغة أو التفكير البشري أصبحت المعاني والمفهومات ذات طابع استعاري (Metaphoric) فالكلمات التي كانت في البداية تصف حقائق عادية موصوفة أمتدت الى تصورات أو صور (Images).

وبعبارة أخرى يفترض مولر أن عملية التحول قد حدثت وقد أمتد فيها المعنى الحسي المرتبط بالحواس الى معنى فوق الحسي(Extra-Sensual)، فالتعبير عن العالم الواقعي المحسوس قد تحول الى التعبير عن عالم مُجرد مجازي أستعاري،.

وأن هذا النوع من الرؤية يتفق مع الأفكار المعاصرة عند كل من هورتن (Horton) وهولز (Holes)، حيث تتبلور الأفكار الرئيسية لديهما في أن الأنسان يبدأ عملية التفسير المقارن للثقافات من محور التجربة المشتركة والعامة لدى كل البشر، ثم يصل فيما بعد إلى التعبيرات الرمزية المتنوعة، فالروابط الرمزية بين الموضوعات الواقعة في العالم الخارجي وصورته الصوتية التي أمتدت الى العالم الداخلي قد أصبحت تصوراً مًجرداً في العقل.

[١٥]أما الأتجاه الثاني المقابل للأتجاه السابق يتزعمه أوين بارفيلد(Owen Barfield) وطبقاً لأفكاره فإن اللغة لم تتطور من المحسوس الى المجرد بتطور التفكير البشري، أذ يمكن للرجل البدائي أن يستعمل كلمة واحدة تشير الى موضوعات مادية وتصوارت مجردة في أن واحد، بمعنى أن الكلمة تتضمن نوعين من المعاني الحسية والمجردة في الوقت نفسه، لكن المعنيين يختلفان فيما بعد في مرحلة متقدمة من النمو اللغوي أو التطور التصوري، أن كلمة واحدة يمكن أن يكون لها معنيان أو أكثر،[١٦]

فأن ذكر الألفاظ المُختلفة التي تستعمل في اللغة الأنكليزية كلمة واحدة للتعبير عن الثلج بينما تحتوي لغة الأسكيمو على جذور أساسية منفصلة للتعبير عن الثلج، كالثلج المتساقط، والثلج على الأرض، والثلج الذي تجرفه الرياح؛ أن نظرية بارفيلد تتفق مع نظرية التواجد المُشترك للأستعارة في سياقات ثقافية مُعينة...

هناك جانب أخر يصب في تفسير هذا المحور من البحث وهو الأستعارة والمنطق الرمزي، والذي تعامل معه العالم الأنكليزي جورج بولGeorge Boole من زاوية دراسة القوانين الأساسية لعمليات الذهن والتعبير بلغة رمزية، لذلك أسس طريقة جديدة في المنطق، تتجلى في تحويلهُ إلى آلة تحسب القضايا المنطقية، وبذلك دخل المنطق منعطفاً جديداً، وهو طور التحسيب، حيث يقول جورج بول: أن جميع العمليات اللغوية باعتبارها أدوات للتفكير يمكن إجراؤها بواسطة نظام من الرموز؛ يتبين من ذلك أن جورج بول مارس نوع من التفكير الاستعاري أو باصطلاح هذه الدراسة الربط البنيوي، بهذا الوصف يكون المنطق الحديث وليد آلية ذهنية مجردة تربط بين طرفين مُختلفين من الممارسات الذهنية، أحدهما طرف من قضايا منطقية تنتمي إلى مجال اللغة الطبيعية، بينما مجال طرف المصدر هو الأعداد والعمليات الحسابية، أن هذه المقابلة بين الطرفين ونقل بعض الخصائص الحسابية للعمليات الى القضايا المنطقية التقليدية أفرزت نمطاً جديداً منالتفكير في القضايا المنطقية،وهو إمكانية حسابها ومُعالجتها مُعالجة رقمية[١٧] .

وباستطاعتها أن تعرف لماذا الأهتمام يكون بنظرية الأختيار العقلاني مرتبط بالاستعارة التي تنتج جريان الأفعال بتراتب تفضيلي، ويكون من خلالها الفاعلون أحاديون، منفصلون وإراديون، أي ان لهم كامل التحكم في أختياراتهم، ويكون النموذج فيها حرفي ولا يوجد داخل النموذج تأويلات بديلة للأفعال...

أن نظرية الأختيار العقلاني لها بنية أستعارية تبين ذلك بشكل واضح من خلال أبحاث قام بها جورج لايكوف وروبرت باول (Robert Powell) في حديث شخصي، كما وبينا من خلال بحثهما أن الفكر الأستعاري يلعب دوراً حاسماً في تطبيقها على أي سياق، وأن الهدف من هذا التحليل هو توجيه النقد مرة أخرى إلى التصور الفلسفي الكلاسيكي للعقلاني، أما الهدف الأوسع فهو تقويض للفكرة التي تقول إن نموذج الفعل العقلاني يصف بكل بساطة العالم كما هو، وأنه يتحكم بصورة طبيعية في كل التفكير العملي للفعل الاجتماعي، وهو مفروض على البشر، حيث أنها محاولة لأستعمال نوع مُعين من الرياضيات، وعلى الأقل ثلاث طبقات من الاستعارة، لنمذجة أوضاع جداً خاصة ومحددة بدقة ومؤمثلة أمتثال عال ليس محدد،[١٨] إن اي تطبيق لنظرية الاختيار العقلاني خارج هذه الأوضاع الضيقة والمحددة أستعارياً يعد لا عقلانياً من منظور بشري أوسع، فبما أن نظرية الأختيار العقلاني ذاتها لا يمكنها أن تُحدد الأوضاع التي يمكن أن تطبق فيها، فأن تطبيقها يرتبط بالحكم البشري، ولكي يقوم المرء بأحكام من هذا القبيل مُستعملاً ما أمكنه أستعماله من المعلومات، فعليه أن يكون واعياً بالفكر الأستعاري وكيف يستعمل في أي تطبيق من تطبيقات النظرية، هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تقارب من خلالها في كيفية أن يكو ن النموذج مفيداً ومتى لا يكو ن كذلك..

النموذج النموذج التطبيقي لنظرية الفعل العقلاني:

عند تطبيقنا لنموذج الـ "الأختار العقلاني" فيجب علينا بالضرورة أستحضار الأستعارة ووضعها في العالم الواقعي بطريقة تواضعية، بحيث يُبنى من خلالها تصور بكيفية يستطيع معها نموذج الفاعل العقلاني أن ينسخ، بعبارة أخرى ينبغي أن يكو ن للوضع نموذج فعل أو أختيار عقلاني بحيث يكون هناك فاعلون واضحون، حالات بدئية، أفعال، حالات ناتجة عن الأفعال، حالات نهائية، ودرجات مُكممة وبالتالي قابلة للمقارنة، من الرفاه بالنسبة لكل فاعل تنجم عن جريان الفعل عند هذا الفاعل، فبعض النماذج ينبغي أن تكون لها بداية ونهاية واضحتان، والبعض الأخر لا يشترط ذلك، تبعاً لتفاصيل النموذج المستعمل، وأن ما سوف نستعملة هنا في هذا النموذج هو حالة السياسة الخارجية والحرب:

أن لنظرية الفعل العقلاني أثر عميق على حياتنا بطرق لا نعيها في الغالب، فقد أستعملت منذ الأيام الأولى للحرب الباردة طرقاً من نهج السياسية الخارجية والحرب بأساليب أكثر "عقلانية"، ولأستعمال نماذج الأختيار العقلاني في السياسة الخارجية، ينبغي أن تتصور الدول أستعارياً أشخاصاً يحرصون على مصالحهم (مصلحة وطنية). تستعمل هنا أستعارة الدول شخص، تُنسخ صحة الشخص في الصحة الاقتصادية للدولة بأكملها، وتُنسخ القوة لدى الشخص في القوة العسكرية، والرفع من المصلحة الوطنية، طبقاً لهذا المنطق الاستعاري رفع من صحة الدولة كُلها مقارنة بدول أخرى وبقوتها العسكرية، أن ما تحجبه أستعارة الدولة هو شخص من الناس الواقعيين، وكل أشكال الرفاه التي اكتسبوها فردياً،

وتحجب الأستعارة أيضاً كل القيم البيئية التي لا تترجم الى ثروة أو قوة عسكرية لغايات السياسة الخارجية،[١٩] وللتشبيه والأستعارة نتصور الدولة شخصاً في عشيرة العالم، اي عشيرة الدول، فهناك دول جارة، ودول صديقة، ودول عدوة، ودول منافسة، والقياس يقوم على نضوح الدول، اي أن لها قابلية على التصنيع والاعتناء بنفسها من وجهة نظر علم الاقتصاد، وان ثنائية هذه الدول هي الدول الغير قادرة على الاعتناء بنفسها وهي الدول النامية، ولجعل السياسة الخارجية عقلانية ينبغي أدراج نماذج الاختيار العقلاني بها، ولكي يكون ذلك ممكناً، يجب أن نضع عالم السياسة وعالم الاقتصاد تحت مراقبة العقلانية، ومن الأمور الواجب أن نضعها في حساباتنا عند تطبيق نموذج في الأخيار العقلاني بواسطة تدابير وإجراءات من قبيل معاهدات التجارة الحرة، وكذلك الرفع من الاستقرار السياسي..، ولأن أي نموذج لا بد أن يكون له مؤثرات مُتداخلة حسب ماتم شرحه أعلاه ولكي نثبتُ مصاديق ما أشرنا إليه من رؤية مُرتبطة بالنموذج العقلاني، فأن الأسواق الكبرى تستدعي أشكالاً من الرقابة السياسية، وأنها لا توجد إلا بموجب عقد تضمن أحترامهُ مجموعة مُختلفة من الأجراءات القانونية، إنها أماكن للتهادن مثلاً، أما بالنسبة إلى المسارات فهي تمر عبر عدد من الحدود والتخوم التي نعرف جيداً أن عملها ليس أمراً بديهيا وأنه يتطلب على سبيل المثال بعض المخصصات الاقتصادية، لا تسهم هذه الأشكال السياسية والاقتصادية لوحدها بل أن الحيز المكاني الشاغل لها. والمتمثل فى الدول هو ذا الوقع الكبير، حيث أنه يوصف بالمكان المُغلق المُنكفي على نفسه، والذي يمثل بشكل من الاشكال العلاقة مع الذات، حتى مداخل المُدن تمثل الحركة والعلاقة بالأخر، فأن الهوية والعلاقة المُرتبطة من خلالها هما في قلب كل الإجراءات المكانية التي درستها الأنثروبولوجيا بشكل عام، وأن هذه الأشكال المكانية لا تتجسد إلا داخل الزمان وبواسطته،[٢٠]

لذلك عند تطبيق نموذج الفعل العقلاني على السياسة الخارجية ليس محاولة لوصف العالم، بل لتغييرهُ حتى يطابق نماذج الفاعل العقلاني، وفي نهاية المطاف لا يمكن أن تطبق نماذج الفاعلين العقلانين عامةً إلا إذا كان أكبر عدد من الفاعلين المُمكنين يستخدمون نفس نماذج العقلانية، لبلوغ هذه الغاية دربت الولايات المتحدة علماء السياسة الخارجية والزعماء العسكريين والاقتصاديين من العالم بأسره على استعمال هذه النماذج، وبتخطيط عالي عن ما الذي يتم حجبة عند الاستعمال الدولي لنماذج يكون فاعلوها العقلانيون دُولا أو شركات، والتي تكون عادة مُختلف أشكال الرفاه التي يحتاج إليها الأشخاص الفرديون، وثقافات الأهالي، والبيئة، حيث تهدف السياسة الخارجية الأمريكية الى الرفع من مصالحها، اي من ثروتها الوطنية ومن قوتها العسكرية، ولجعل هذه السياسة عقلانية لابد من إدراج نماذج الاختيار العقلاني، لجعل العالمين السياسي والاقتصادي تحت المُراقبة العقلانية،[٢١]

مثالنا التطبيقي هو الحرب الأمريكية العراقية فى الـ٢٠٠٣، حيث بنت نماذج الفاعل العقلاني وتمت الاستشارات بشكل جاد فى شأن قرار أجتياح أمريكا للعراق.

وقد أُطر النقاش في الكونغرس قبل الحرب بالسؤال الذي طرح والذي نستحضره بالضرورة في اي مثال لحرب يُستعمل فيها نموذج الفاعل العقلاني عند دراستها وتحليلها، وهو:هل الأرباح تفوق الخسائر؟ وهل تستحق هذه الحرب أن نخوضها؟

عند نقاش الكونغرس لهذين السؤالين كانت القضايا الأساسية التي طُرحت بوصفها تمثل ربحاً أو خسارة للولايات المتحدة هي التالي: أستمرار تدفق نفط الشرق الأوسط الذي هو ميزان القوى في المنطقة، والهيبة السياسية في الداخيل والخارج. وحياة الجنود الأمريكان وصحتهم، وكلفة السلاح المستعمل في الحرب.

والدعم اللوجستي، في المقابل لم تحتسب حياة المدنيين العراقيين وصحتهم، سواء خلال الحرب أو بعدها بوصفها "كلفة" أو "خسارة "، فقد تم أقصاؤها من الوقائع التي نوقشت في الكونغرس؛ أن عدم إدراج حياة المدنيين غير المقاتلين في العراق كان قرار صاغ "أسلبة" الوضع بعد سنة من وقع الحرب، حتى قالت وكالة الاستخبارات الأمريكية أن أكثر من مليون من العراقيين، جلهم من النساء والأطفال والعجزة لقوا حتفهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة في الحرب، جراء تدمير البنية التحتية في البلاد، وسيرورة إنهاك المزروعات، والمستشفيات والمولدات الكهربائية، وما شاكل ذلك من الأمور المرتبطة كتدمر البيئة الناجمة من الحرب؛ ورغم ذلك ذهبت الولايات المتحدة إلى أن الحرب قد نجحت، لأن فيها قد حققت غاياتها، بل وأن نيويورك تايمز اعتبرت أن هذه الحرب صفقة رابحة، حيث أنها أعتبرت الخسائر قليلة جداً، لأنها لم تعتبر حياة مليون عراقي ماتوا من "الخسائر" أو " الكُلفة " المدونة في هذه السجلات ماداموا يحصلون على النفط، والمنطقة مازالت تنعم بالأستقرار من وجهة نظرهم والذي يحافظون فيه على أستقرارهم وسيران مصالحهم، وأن كانت بعيدة عن التصور المثالي الذي تريده الولايات المتحدة، فإن الاستقرار الأقليمي بنسبة غير قليلة ضل محافظ على وضعهُ، وبالتالي على العقلانية في ميدان السياسة الخارجية، من وجهة نظر نموذج الفاعل العقلاني كانت الحرب ناجحة. أن المناقشة في الكونغرس وقرار الإدارة الأمريكية كانا مبنيين بأسلوب تفكير يميز مثل هذه النماذج ؛ يعني أن الوضع تم بناء على ربح وخسارة ولم تدخل حياة الناس ومعاناة المدنيين الأبرياء في حسابات الدولة العدوة وبذلك لم تحتسب خسارات لنا. أن أستعمال هذا الأسلوب من الفكر لهُ أقتضاءات أخلاقية، فقرار خوض الحرب، أو على الأقل الأستراتيجية العسكرية المُتبعة خلال الحرب، كانت ستكون مُختلفة لو أدخلت هذا النوع من الخسارات فى عداد خسارتها، لا تلام نماذج الاختيار العقلاني على ذلك فهي ليست سوى نماذج رياضيات بالأضافة الى إنها أستعارات، ما يُلام هو الطريقة التي تبنى بها الأوضاع، نعني هنا تدخل الحكم البشري والأخلاقي، أن الحكم بهذه الطريقة لا يندرج في "العقلانية" كما تحددها نماذج الفعل العقلاني، بما أنه لا تجد بهذا النموذج ذاتها.

أن أستعمال هذا النموذج نموذج الفعل او الأختيار العقلاني ليس محايداً أخلاقياً على الأطلاق، وأنما هو عبارة عن بناءات بشرية أستعارية يفرضها البشر، أنها ليست من سمات العالم في حد ذاته، ويمكن أستعمالها بصورة مثمرة أو غير مُثمرة، بصورة أخلاقية أو غير أخلاقية، أن ما يهمها هو أن لديها غايات تود تحقيقها، وينظر إليها اي لنظرية الفعل العقلاني على أنها تحدد حرفياً ماهية عقلانية الوسيلة–الغاية برمتها، وأن مُبررها في أتخاذها سبيل اللأخلاقية في تحقيق بعض غاياتها هو أن ماهيتها رياضية خالصة، لذلك لا تخضع للمُساءلة، لذلك تسمى أحياناً رياضيات الأختيار العقلاني، وهذا لا يعني بأنها تندرج في الرياضيات الصرف نفسها ، ولكنها تندرج في التأويل الخفي للرياضيات...

الخاتمة:

بعد أن تم تقديم كل ما يخص البحث يمكننا القول:

أن نظرية الفعل العقلاني مهمة ومعقدة في آن واحد لأن فيها أكثر من فاعل، حيث أن الربح والخسارة تكو نان واردتان فى ذات المشهد للواقعة التواصلية المُطبقة على حدث بعينه للأطراف التي يقع عليها الفعل، فان التجاذبات تكون حاضرة وبقوة وتشكل مُخرجات للبحث، ولا تتم هذه العملية إلا بوجود الأستعارة والتي هي بالأساس مستحوذة على أهتمام الأنثروبولوجيين بشكل كبير، لأن الأستعارة لاترتبط فقط في أنماط التعبير اللغوي بل بالأمكان تطبيقها في المجالات السلوكية والأجتماعية، فضلاً عن أنها تتسم بكون أن نظرية الفعل العقلاني مرتبطة بالأستعارة التي تنتج جريان الأفعال بتراتب تفضيلي، ويكون من خلالها الفاعلون أحاديون، مُنفصلون وأراديون، اي أن لهم كامل التحكم في أختيا ارادتهم، وأن كل ماتقدم سُقط على النموذج التطبيقي الموثق بهذا البحث بالنظرية ذاتها (الفعل العقلاني).

وبمنهج متبع متجسد (بالبنيوية). أن الفلسفة مهمة فى نظرية الفعل العقلاني لأنها تعطي خيارات وتهييء للإستعارة لتوضيح النموذج، وبذلك وبعدها نحصل على نموذج عقلي معرفي، يتجاوز هذا النموذج بعد كُل هذه الأجراءات الرؤية الكلاسيكية؛ من هذه النقطة تحديداً عرفت بشكل أدق ضرورة أستعمال الأستعارة في تطبيق نظرية الفعل العقلاني، وأن ما يؤكد عقلانيتها هو أن النتائج تكون مُقترنة بالأرباح التي تفوق مستوى الخسائر، حتى وان كانت الخسائر مؤلمة أنسانياً فإنها لا تلتفتُ إليها أطلاقاً.

المصادر:–

١– أدموند ليترش/ كلود ليفي–شت اروس)د ارسة فكري ة(، ترجمة)ثائر ديب(، دار الفرقد، سوري ا–دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠١٠.

٢– إيف وينكن/ أنثروبولوجيا التواصل)من النظرية الى ميدان البحث(، ترجمة)خال د العم ارن(، م ارجعة)يونس تيبس(، هيئة البحرين للثقافة والأثار ، لبنان–بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٨ .

٣– السيد حافظ الأسود/ الأنثروبولوجيا الرمزية)د ارسة نقدية مقارنة للأتجاهات الحديث ة في فهم الثقافة وتأويلها(، المعار ف الأسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

٤- أبونصر أسماعيل/ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق)أحمد عب د الغفور(، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة ال اربعة، الجزء السادس، ١٩٨٧.

٥-- بريان م . هويل وجينيل وليامز باريس/ المدخل الى الأنثروبولوجيا الثقافية من منضور مسيحي، ترجمة)أدوارد وديع(، دار الكلمة ، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.

٦- جورج لايكو ف ومارك جونسو ن/ الفلسفة في الجسد)الذهن المُتجسد وتحديه للفكر الغربي(، ترجمة)عبد المجيد جحفة(، دار الكتاب الجديد ،لبنان -بيروت ،الطبعة الأولى ، ٢٠١٦.

٧- جيرالد برونير وإتيين جيان/ الخطر السوسيولوجي)في نقد خطاب الحتمي ة الاجتماعية(، ترجمة)حسن أحجيج(، مؤسسة المل ك عبد العزيز ال سعود ، دار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٩ .

٨- ماثيو أنجيلكة/ كيف تفكر كأنثروبولوجي، ترجمة)عمرية سلطاني(، الشبكةالعربية، لبنان -بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠ .

٩- مار ك أوجيه/ اللاأمكنة)مدخل إلى أنثروبولوجيا الحداثة المفرطة(، ترجمة) ميساء السيوفي(، م ارجعة)جمال شحيد(، هيئة البحرين، المنامة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨.

١٠- عياد بلال/ أنثروبولوجيا الأدب)د ارسة أنثروبولوجية للسرد العربي(، دار روافد ، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٥ .

١١ - فارو ق محمد أسماعيل/ المدخل إلى الأنثروبولوجيا)النظرية والمنهج(، دار المعرفة الجامعية ، مصر- الأسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

١٢-طارق المالكي / نظرية الربط البنيوي (في التقريب بين الاستعارة والقياس والدوال الرياضية)، كنوز الم

الهوامش :

١ - يُنظر:جورج لايكوف ومارك جونسون/الفلسفة في الجسد(الذهن المُتجسد وتحديه للفكر الغربي)، ترجمة(عبد المجيد جحفة)، دار الكتاب الجديد، لبنان-بيروت،ط١، ٢٠١٦،ص ٦٦٩.

٢ - أدموند ليترش/ كلود ليفي-شتراوس (دارسة فكرية)، ترجمة (ثائر ديب)، دار الفرقد، سوريا-دمشق، ط٢، ٢٠١٠، ص٥٨.

٣ -يُنظر: بريان م . هويل وجينيل وليامز باريس/ المدخل الى الأنثروبولوجيا الثقافية من منضور مسيحي، ترجمة(أدوارد وديع)، دار الكلمة ، ط١، ٢٠١٥، ص٣٢٦-٣٢٧.

٤ - يُنظر:ماثيو أنجيلكة/ كيف تفكر كأنثروبولوجي، ترجمة(عمرية سلطاني)، الشبكةالعربية، لبنان -بيروت، ط١، ٢٠٢٠، ص٤٩-٥٠.

٥ - يُنظر: عياد بلال/ أنثروبولوجيا الأدب (دراسة أنثروبولوجية للسرد العربي)، دار روافد، القاهرة، ط٢، ٢٠١٥، ص٣٣

٦يُنظر:جيرالد برونير وإتيين جيان/ الخطر السوسيولوجي(في نقد خطاب الحتمية الاجتماعية)، ترجمة (حسن أحجيج)، مؤسسة الملك عبد العزيز ال سعود ، دار البيضاء، ط١ ، ٢٠١٩، ص ٥٥-٥٦.

٧ -يُنظر: إيف وينكن/ أنثروبولوجيا التواصل (من النظرية الى ميدان البحث)، ترجمة(خال العمران)، مراجعة (يونس تيبس)،هيئة البحرين للثقافة والأثار، لبنان-بيروت، ط١، ٢٠١٨، ص ٦٨-٧١.

٨ –يُنظر: فارو ق محمد أسماعيل/ المدخل إلى الأنثروبولوجيا (النظرية والمنهج)، دار المعرفة الجامعية، مصر– الأسكندرية، ط١، ١٩٨٧، ص١٢٣.

٩ – يُنظر: جورج لايكوف ومارك جونسون/ مصدر سابق، ص ٦٧١–٦٧٢.

١٠ – يُنظر:جورج لايكوف ومارك جونسون/ مصدر سابق، ٦٧٦–٦٧٧.

١١–أبو نصر أسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي/ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق (أحمد عبد الغفور)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ج٦، ١٩٨٧، ص٢٤٧٧.

١٢ ينظر : إدموند ليتش/ كلود ليفي شتراوس (دراسة فكرية)، ترجمة (ثائر ديب) ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ، ط١، ٢٠٠٢ ، ص ٥٨ – ٥٩.

١٣ – يُنظر: بريان م . هويل وجينيل وليامز باريس/ مصدر سابق، ص ٦٣.

١٤ – السيد حافظ الأسود / الأنثروبولوجيا الرمزية (دراسة نقدية مقارنة للأتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها)، المعارف، الأسكندرية، ط ١، ٢٠٠٢ ،ص ١٤٨–١٤٩

١٥ – السيد حافظ الأسود/ مصدر سابق، ص ١٤٥– ١٤٦.

١٦ المصدر نفسه، ص ١٤٦.

١٧ –ينظر: طارق المالكي / نظرية الربط البنيوي (في التقريب بين الاستعارة والقياس والدوال الرياضية)، كنوز المعرفة، عمان – الأردن ، ط ١، ٢٠٢٣، ص١١٩–١٢٠.

١٨ – جورج لايكوف ومارك جونسون/ مصدر سابق، ص ٦٧١.

١٩ –جورج لايكوف ومارك جونسون/ مصدر سابق، ص ٦٩٥.

٢٠ – مارك أوجيه/ اللاأمكنة (مدخل إلى أنثروبولوجيا الحداثة المفرطة)، ترجمة (ميساء السيوفي)، مراجعة (جمال شحيد)، هيئة البحرين، المنامة، ط١، ٢٠١٨، ص٦٠–٦١.

٢١ – يُنظر: جورج لايكوف ومارك جونسون/ مصدر سابق، ص ٦٩٥–٦٩٦.